المرأة في الدّيانة المسيحيّة

د. محمد عبد السّلام دعباج ـ قسم أصول الدّين كلية العلوم الشرعية مسلاتة ـ الجامعة الأسمرية الإسلامية

تقديم:

إنّ الحياة في أساسها، تفاعل الإنسان رجلا كان أو امرأة مــع مكوّنات المجتمع وتقاسم الأدوار تأثيرا وتأثرا، أخذا وعطاء، وقد تزداد هذه الأهميّة إذا تعلقت بموضوع المرأة كُرما أو اضطهدا ، كيف نظرت المسيحيّة للمرأة، وهل اقتفت آثار الدّيانة اليهوديّة في هذا المجال أم أنّها نهجت منهجا جديدا ومميزا يليق بالمرأة ؟

وقد نجلي هذا الموضوع من خلال مطلبين أساسيين، أولهما نظرة الدّيانة المسيحيّة للمرأة من خلال الأناجيل ، وثانيهما واقع المرأة اليوم في المجتمع المسيحي ؟

المطلب الأوّل ــ المرأة بين تعاليم المسيح ومُمارسة الكنيسة:

عرفت الدّيانـــــة المسيحيّة ومن خلال تعاليمها أنها موجّهة إلى جميع النّاس ، وخاطبتهم ليقبلوا نعم الله عليهم بالمساواة بينهم ، وقد أكد الانجيل في مجال الخلق أن أصل البشريّة واحد:« ليس يهودي، ولا يوناني، وليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع »[1] ، ويرى كثير من الدّارسين :" أنّ المسيح ـ عليه السّلام ـ ، ومن خلال الأناجيل أن العلاقة بين الرّجل والمرأة متساويان في المكانة، متعاونان في الرّسالة والعمل»[2] وكأني به يقول إن الفرقة التّي خلقتها الخطيئة الأولى بين آدم وحواء : الرّجل والمرأة، قد أصلحها المسيح، ولم يعد هناك فرق بين الرّجل والمرأة في الإنسانيّة خاصة وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلقهما من طينة واحدة وفق رأي أحد البطارقة:" فحين نظر الله إلى آدم، ووجد أنه ناقص كيانيّا، اختار منه أقرب ما يمكن له ، وليس من عنصر مواز له، فخلق حواء من ضلع آدم، وهذا يعني أنها ليست أقل منه، وليست مخلوقة من جبلة غير جبلته، فهي من آدم من ذاته وطينته، لذا فالمرأة من ناحيّة الخلق متميزة عن كل خليقة أخرى في هذا الكون ومثلها هو الرّجل[3]، وقد أكد هذا الارتباط الوثيق والحتمي بين الرّجل والمرأة، ما ورد في أسفار العهد الجديد من ذلك: " الرّجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرّجل أي الرّب، لأنه كما أن المرأة هي من الرّجل، هكذا الرّجل أيضا هو بالمرأة، ولكن جميع الأشياء هي من الله»[4]. معلنا للعامّة أنّ المسيح هو الذي يتصدر المكانة الأساسيّة وبين الخلق من النّبي إلى الإنسان عموما، فالرجل ثم علاقته بالمرأة: «أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرّجل، ولأن الرّجل لم يخلق من أصل المرأة بل المرأة من أصل الرّجل»[5].

---

[1]) رسالة بولس إلى أهل غلاطيّة 28:3

[2]) حبيب صموئيل(قس): المرأة في الكنيسة والمجتمع: دار الثقافة ط1، (دت)، القاهرة، ص65.

[3]) من تصريح للبطريق أغناطيوس الرّابع هزيم في:(2000/5/17)،انظر جمانة طه، المرأة العربيّة من منظور الدّين والواقع ، دراسة مقارنة ،منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق 2004، ص60.

[4]) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس:12.11.1 (1 كورنثوس.12:11).

[5]) م.ن: 1.11.1. 03 (1 كورنثوس 11: 03).

وفي مقابل ذلك نبّه المسيح الرّجال إلى الاعتناء بالمرأة من قبل زوجها، وقد عبّر عنها بخاصته "وأهل بيته: «وإذا كان أحد لا يعتني، بخاصته ولاسيما أهل بيته »[1]

إنّ هذا الخلق الواحد للرجل والمرأة، هو الذي جعل المسيح يعادل في نظرته بين الرّجل والمرأة، فأصبح بذلك كلاهما مدعوٌ بنفس القدر للتوجه إلى معرفة الله – تعالى- ، فلا يمكن أن تحول معرفة الرّجل لربه دون واجب المرأة في معرفة الله بنفسه لا بواسطة الرّجل ، زوجا، ابنا أو أبا"

لقد أفرد الإنجيل النساء بخطاب واضح وصريح بمثل ما خاطب به الرجال محمّلا كلا العنصرين، الرجل والمرأة، مسؤوليّته، وموضحا تبعة ذلك إن خيرا أو شرا"

موقف المسيح عليه السّلام من المرأة:

إنّ موقف المسيح من المرأة، مستمد من الموقف من مريم ، كيف لا، ومريم أم المسيح وأمة الرّب ، التّي خصّها الله بمكانة لم تحظ بها امرأة قبلها ولا بعدها، فهي البتول ، لذلك يمكن أن نقول إنّ المسيح عليه السّلام عامل المرأة بأدب حيث خاطب فيها الجوهر ولم يجرج سلوكها أو مشاعرها ؛ وقد سلك في دعوته الجميع مسلك اللين واللطف والأناة والصبر على الجميع، فما بالك بالمرأة، ولم يمارس التّفرقة بينها وبين الرّجل من جهة ، أو بينها وبين أختها المرأة من جهة أخرى، وكان يؤكّد على أن الاحترام هو المنطق في التّعامل مع المرأة، واعتبر بعضهم سلوكه هذا مغاير لما درج عليه سلوك اليهود في تعاملهم مع المرأة الذي عبرت عنه التّوراة «بأن الرّجل اليهودي فيه يحمد الله أنه لم يخلق امرأة أو عبدا»[2].

وعلى العكس من ذلك فإن المسيح - عليه السّلام - بدا مجدّدا مقارنة باليهودية ، التّي حطت من كرامة المرأة ووضعتها في أسفل سلم الإنسانيّة وسوتها بالعبد أو الفاقد للأهلية ، ويظهر هذا الأسلوب الحضاري مع المرأة من المسيح في تعامله مع النّساء الخاطئات بسبب أو آخر، بما في ذلك البغي والزنا. وكذلك في تعامله مع الأرملة والفقيرة، خاصة وأنّ هذا الصنف لم يكن لهن من يدافع عليهن في وضع اجتماعي قاس جدا ، وقد جسد ذلك بقول الإنجيل «إنّ هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر منهم جميعا... لأنّها من حاجتها ألقت جميع ما تملك لمعيشتها»[3].

علاقـــــة المرأة بالمسيح :

يذكر التّاريخ الدّيني للكنيسة أن المرأة كانت كاملة الحقوق في ما يتعلق بالدين والتدين على عكس ما عانته من إبعاد واحتقار وإذلال في اليهودية ، وقد ذكرت علاقة الكنيسة الأرثوذوكسيّة «المكافأة التّي منحتها لمريم المجدليّة لزيادتها في تقبل البشارة ومن المسيح مباشرة ومنحتها لقب "المعادلة للرسل" أو "رسولة القيام للاثني عشر كما دعاها الكاهن واللاهوتي هيبوليتوس (170-235)»[4] وبالرغم من هذه المكانة، فإن الكنيسة لم تضع المرأة موضع الرّسل الاثني عشر وذلك لطغيان العنصر الذكوري[5] وهو سلوك مارسته الدّيانة اليهوديّة من قبل، وظلت إشارة

[1] م.ن:08.05.1 (1 كورنثوس05 :08).
[2] من دعاء اليهودي ربه وشكر نعمه.
[3] انجيل لوقا 21: 4.1.
[4] بندلي كوستي: المرأة في موقعها ومرتجاها، طبع مجلس كنائس الشّرق الأوسط، (د.ت)، ص70.
[5] طه جمانة: المرأة العربيّة في متطور الدّين والواقع (م.س)، ص63.

ممتدة في المجتمع المسيحي ، وبالرغــم من ذلك فالكنيسة الأرثوذوكسيّة شهدت مطالبة ملحة بأحياء رتبة الشّمائيات فيها[1].

ولسائل أن يقول، إذا كان حال المسيحيّة في ذلك الوقت متأثرا باليهودية، فلماذا تأخر اليوم على إلحاق المرأة المسيحيّة بالخطط الدّينيّة المهمة، تماشيا مع روح العصر أم أنّ أداة الهيمنة الكامنة في الذات الذكوريّة تأبي على العقليّة الانفتاح وإعطاء المرأة المسيحيّة حقها اللازم والعادل؟ وهي تعيش في القرن الواحد والعشرين، أو أن المفارقة عظيمة بين العيش في هذا القرن والتمشي بالقرون الأولى.؟

ونجد أن رجال الإصلاح الكنسي اليوم، في أغلبهم يؤاخذون الكنيسة على إهمالها شأن الكاهنات والراهبات، والراهبات، بالرغم من ضرورة الأديرة لعمل النّساء المؤمنات، والبعض الآخر من رجال الكنيسة يقدم حجة عدم التّقصير، من خلال اقتدائها بالمسيح الذي أقام الرّجال أساقفة وكهنة ليرعوا كنيسة الله: «احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرّعيّة التّي أقامكم الرّوح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التّي اقتناها بدمه»[2]. وهو ما يفهم منه أن الذكور هم الرّعاة وخادموا الأسرار، وما تصنعه الرّوح القدس إنما هو ترتيب من الله، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم لم يستطع أحد من رؤساء الكنائس أن يغيّر من موقف الكنيسة من دخول المرأة في سلك الكهنوت، وعليه استمرت الكنيسة في اختيار رجال الدّين من المؤمنين الذكور، رغم الاعتراف الكبير بدور المرأة ومواطنتها في المجتمع المسيحي استنادا إلى الكتاب المقدس، العهد الجديد الذي لم ينكر علينا مساندتها المطلقة للمسيح في أدق مراحل دعوته وما تعرض له من المحن.

وليس هناك من تفسير للاعتراف بالمرأة بالكفاءة والجدارة من ناحية، وعدم إفساح المجال لها لتولي المناصب القيادية، الدّينيّة غير أنانيّة رجال الدّين المسيحي سواء في الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانتية والأرثوذوكسية، فقد اتفقوا جميعا عبر التّاريخ على أن يخططوا بأنفسهم للأمر جيلا بعد جيل، لكل أمور الدّين والدنيا، حيث جعلوا حدّا لا يمكن تجاوزه للمرأة مهما بلغ إيمانها، إلا بإذنهم الذي لم يأت إلى الآن، وقد أكد هذا الأمر صراحة البابا يوحنا الثاني حيث قال: «إذ بإمكان المرأة أن تكون ما تشاء في المناصب الدّنيوية، إلا أنها غير قادرة ولا تتمتع بالمؤهلات التّي تخوّلها التّواجد في سلك الكهنوت»[3]، والواقع أن فكرة البابا المتعلقة بمنع المرأة من المناصب الدّينيّة هي رجع صدى ما أشرنا إليه سابقا من مكانة المرأة في التّوراة، حيث حملت عقوبة الخطيئة، وعلى العكس من نظرة البابا نجد بعض الفرق المسيحيّة الانجيليّة اليوم تفسح المجال لتنال رتبة القسوسية، وهي ما تخالف فيه نص العهد الجديد[4].

فموضوع المرأة الذي يبقى من المواضيع القديمة الجديدة، الثابتة في أصلها والمتغيرة في نظرة الشّعوب إليها، متناسبين أنها النّواة الصلبة للمجتمع، وأن كل ما يطرأ في الكون من محاسن ومفاسد إلا وللمرأة فيه ضلع وكلمة. لذلك فقيمة استعادة المرأة لدورها ليست مزيّة من المجتمع عليها، وإنما موقعها الطبيعي هي دورها الحقيقي

---

1) نبدلي كوستي: المرأة في موقعها ومرتجاها (م.س)، ص111.
2) أعمال الرّسل: 20-26.
3) الدّس ماري: مجلة النّهج عدد 41 خريف 1995 (الدبس جامعيّة لبنانيّة رئيسيّة جمعيّة مساواة وردة بطرس للعمل النّسائي وعضو الدّفاع عن حقوقها المرأة في القضاء على التّمييز ضدها).
تصريح البابا في جوان 1954 بمناسبة عيد المرأة.
4) الانجيلية: هي حركة دينيّة مسيحيّة روادها بايعوها مجموعة من المحافظين البروتستانت، وهي حركة أكثر شعبية، تمتاز هذه الفرق بالحركيّة في العالم المعاصر وتتابع وضع المرأة وغيرها، وتسعى إلى النّظر إلى المجتمع نظرة الواقع دون قطيعة مع النّص الأصلي للكتاب المقدس (وكيبيديا الإنجيلية).

في تنشيط الحياة وتطوير المجتمع، حيث تظلّ المهمة الأصعب والأخطر في المحافظة عليه وتطويرها لولا تلاعب المذاهب السّياسيّة والفكريّة والدينيّة في إظهارها طورا وإبعادها طورا آخر، أي أنها أصبحت عندهم ورقة تستعمل في أغراض شتى وفي أوقات معلومة. وما الديانة المسيحيّة إلا فرع في هذه الزّوايا التّي نظرت للمرأة نظرة جيدة وإيجابية، على عكس الدّيانة اليهودية، فكان إبراز قيمة المرأة واضحا في النّصوص الدّينيّة المسيحيّة وموقف المسيح لا غبار عليه، وهو ما يعكس أيضا دور المرأة المؤمنة بالمسيحيّة وما قدمته خدمة للمسيح، وهو ما جعل الكنيسة في غالبيّة الآراء تقف موقفا إيجابيا لولا تدخل القائمين على المناصب الدّينيّة في منع اعتلاء المرأة المسيحيّة هذه المهام العليا، وهو ما يعكس سطوة العنصر الذكري على المشهد الدّيني، رغم الإقرار بمكانة المرأة في الأناجيل وحرصها الشّديد على المداومة والمقاومة، ذلك أن المرأة هي أصل بناء الإنسان والمجتمع، حيث تدرك بحدسها وعقلها وعاطفتها أمر تدبر الحياة بتربيّة الأبناء والأجيال وتحقيق التّوازن الأسري والمجتمعي، وقد حفظ لنا التّاريخ أن الأمم مرت بمرحلة الأمومة حيث كانت الكلمة الأولى والأخيرة للمرأة، ما زالت بعض هذه الملامح موجودة في عدة مجتمعات اليوم حيث القوامة والعصمة بيد المرأة على غرار المجتمعات التّوراتيّة وغيرها.

ولبيان أهميّة المرأة في المسيحيّة لا بد أن نتعرض إلى بعض نشاطهم في الأحوال الشّخصيّة وكيف تعاملت معها المرأة في إطار ما تذكره النّصوص الدّينيّة حول قيمتها الإنسانيّة والحضاريّة وفق ما قاله: أغناطيوس الرّابع بطريك أنطاكيا وسائر الشّرق(1921-2012):« المرأة أمي – الله خلق المرأة والذي لا بد أن يكون للمرأة دور عليه هو أن ينسحب كفى إلقاء مواعظ على المرأة وكان عليها أن تتلقى الأوامر فقط. افعلي هذا وكفي عن ذلك»[1].

المطلب الثاني ــ واقع المرأة في المُجتمع المسيحي :

لمزيد بيان مكانة المرأة في الدّيانة المسيحية، لا بد أن ننظر كيف تعامل الأناجيل مع المرأة، سواء تعلق ذلك بالزواج والعلاقات بين الزّوجين ومسألة تعدد الزّوجات ، ثم قضايا الطلاق وما يتعلق بالإنفاق والمهر وعمل المرأة وتعلمها وتوليها المناصب العليا في الدّولة والمجتمع.

الكنيسة والزواج : إذا كانت المسيحيّة قد استلمت الإعلاء من شأن المرأة في قدسيّة العذراء ومكانتها عند الله - سبحانه وتعالى- ، وإنجابها للمسيح - عليه السّلام - فإن الكنيسة قد أعلت من شأن الزّواج واعتبرته سراً إلهيا يربط الرّجل والمرأة ، يقوم على الفداء والإيثار ؛ لأن الصلة بين الزّوجين هي من أقوى الرّوابط: «يترك الرّجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا...»[2] ، وقد ذهب بعض أقطاب المسيحيّة إلى اعتبار الزّواج من أرقى الصلات وأحكمها ، وأكثر ما يثلج قلب المرأة في المسيحيّة هو رفع الكنيسة شأن الزّواج إلى مقام القداسة ، وجعله ميثاقا غليظا بين الرّجل والمرأة والله[3] على اعتبار أن الزّواج فطرة الله في خلقه ذكورا وإناثا، والتفريق بين الرّجل والمرأة من أصعب الأمور دون أن يلغي أحدهما شخصيّة الآخر [4]، حيث يكوّنان اتحادا يصيران به جسدا واحدا [5].

[1]) (26 أكتوبر 2017) History of christatianty syria : Catholic Encyclopédia
[2]) انجيل متى: 19:5.
[3]) ول ديورانت: قصة الحضارة (م س)، ج16، ص183.
[4]) بولس الثاني: بابا يوحنا: كرامة المرأة (م س)، ص27.
[5]) بولس الثاني: بابا يوحنا: كرامة المرأة (م س)، ، ص72.

وعليه فالزواج في نظر الكنيسة هو سر إلهي، وليس مجرد عقد وارتباط ، وقد أكد البابا يوحنا بولس الثاني الأمر بقوله: « فمنذ البدء خلقهما الله رجلا وامرأة، واستودع كلا منهما الآخر، كشخصين مخلوقين على صورة الله ومثاله، وبمعيار عطائهما المتبادل يقاس الحب، أعني الحب الزّوجي، ولكي يكون الحب الزّوجي هذا العطاء المجاني المتبادل يجب أن يشعر كل من الزّوجين أنه مسؤول عن هذا العطاء.»[1].

إن هذه العلاقة الزّوجيّة تستوجب التّعاون المتبادل بين الطرفين لأن حياة الإنسان ذاتها تتحقق على الأرض، وعلى امتداد الزّمن من خلال الزّواج والدعوة إلى التعاون بين الذكر والأنثى ، فيما سمي عند بعضهم بالشركة وفق الرّأي المسيحي « فإذا أخذنا بالمبدأ القاضي بأن يعيش كل إنسان للآخر، ضمن الشّركة القائمة بين الأشخاص، نرى عبر تاريخ البشرية، أن ما هو ذكر وما هو أنثى يندمجان تدريجيا في البشريّة ذاتها كما أرادها الله أن تكون»[2].

إن انتصار أغلب رجال الكنيسة إلى الزّواج وإبراز قدسيته، جعلهم يؤكدون على العلاقة الزّوجيّة والتشجيع على قيامها ، من خلال بيان أهميّة دور المرأة في استدراج الرّجل الزّوج إلى الإيمان بمبادئ المسيحية. فالبطريك أغناطيوس الرّابع يرى: «أن أحاديّة الزّواج في المسيحية، جاءت استجابة لأمر الله الذي قضى أن يكون لآدم زوجة واحدة هي حواء، فالله لم يخلق لآدم غير حواء واحدة [3]. وفي هذا إشارة إلى منع تعدد الزّوجات في المسيحيّة ، ونظرة إلى العلاقة الزّوجيّة بكثير من التّقدير، وهو ما جعل القسي بولس لا يفرق بين الزّوج المؤمن والزوج غير المؤمن، حتى أنه طلب من الزّوجة أن تحسن معاملة زوجها غير المؤمن وأن تكون له وفية ، كي لا يكون لزوجها حجة في طردها أو التّخلي عنها. وقال ذكر في هذا أنه يطمح أن يظفر بإيمان الزّوج « كذلكنّ أيتها النّساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا تطيعون الكلمة يرجفون بسيرة النّساء دون كلمة ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف »[4]. ووجه خطابه- أيضا- إلى الرّجال « كذلك أيها الرّجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الأناء النّسائي.»[5].

ويؤكد بولس وصيّة ربه إلى المتزوجات ليحافظن على أزواجهن بعدم مفارقتهم:« لا أنا، بل الرّب، أن لا تفارق المرأة رجلها.»[6]. « وإن فارقته، فلتلبث غير متزوجة، أو لتصالح رجلها ولا تترك الرّجل امرأته»[7] وقد حاربت الكنيسة في وقت ما المبالغة في التّعفف وخاصة الذين يتزوجون ظاهريا وفي الآن نفسه يمتنعون عن معاشرة أزواجهم، كما منعت الكنيسة الرّهبان المتشددين في الزّواج إلى درجة أن يخصوا أنفسهم، وكان ردها دوما قاسيا أن تحرمهم من القبول في الكنيسة.

وقد وقف بولس نفسه موقفا معاديا لكل من ينادي بعدم الزّواج، ونعته بالكاذب والمرائي لأنه يخالف أمر الرّب: «ما نعين عن الزّواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله، لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفين الحق »[8]. كما نجد أن بول شجع الشّابات المترملات على الزّواج ثانيّة كي لا ينزلقن إلى هاويّة الفحشاء وذلك بقوله:« فأريد

---

[1]) م.ن، ص62.
[2]) م ن، ص28.
[3]) طه جمانة: المرأة العربيّة في منظور الدّين والواقع، (م س)، ص64.
[4]) رسالة بولس الرّسول الأولى: 1.3.
[5]) رسالة بولس الرّسول الأولى 8.7.3.
[6]) رسالة بولس الرّسول الأولى إلى اهل كورنثوس، 7:10.
[7]) م ن، 11.
[8]) رسالة بولس الرّسول الأولى إلى تيموثاوس، 4:2.

أن الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت »[1] كما أن بولس لا يرى في زواج الأرملة التّي جاوزت السّتين فائدة، خاصة إذا ما ربت أولادها بصلاح ونجاح « لتكتب أرملة، إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة، امرأة رجل واحد، مشهودا لها في أعمال صالحة، إن تكن قد ربت أولادها، أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين، اتبعت كل عمل صالح» [2].

وحفاظا على مؤسسة الزّواج في المسيحية، جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس أمرا بأن « يكون لكل رجل امرأته، ويكن لكل زوجة رجلها، ليوفي الرّجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضا الرّجل، فليس للمرأة تسلط على جسدها، وكذلك الرّجل ليس له تسلط على جسده بل للمرأة »[3]، وفي هذه التّوصيّة احترام كبير للمرأة باعتبار أنها المسؤولة عن جسدها وكذا الرّجل، بعيدا عن الاستعباد، والتحكم في الآخر، وهو ما يوحي بالمكانة الهامة للمرأة في المسيحية، وصيانة حقها الطبيعي والذاتي والنفسي، وصيانة لحريتها في الزّواج وحقها في عدم مشاركة امرأة أخرى لها نفس الزّوج كان موضوع تعدد الزّوجات.

المسيحيّة وتعدد الزّوجات:

إن المسيحيّة كان وجودها على أنقاض اليهوديّة التّي لم تهتم بالمـــرأة ، ولذلك كانت ثورة على القول بتعدد الزّوجات استجابة لروحانيات الدّين المسيحي وتوجهاته ، رغم أنه قال أنه جاء ليكمل لا لينقص؛ ولكن النّهي عن التّعدديّة كان مثار اهتمام المسيح خلافا لليهوديّة التّي تبيحه .

وللأمانة العلميّة والتاريخيّة فقد عرفت المسيحيّة في فترات معينة ظاهرة تعدد الزّوجات ، وأوروبا لم تعترض حينها على الملوك والنبلاء الذين كان لهم أكثر من زوجة « فقد كان للملك شارلمان (ت 814) زوجتان واثنتان من السّراري، وأن الملك فريدريك عليوم (1859-1941م) عقد زواجه على امرأتين بموافقة الكنيسة من رجال الدّين البروتستات»[4]. ولكن هذا الأمر لم يدم طويلا فسرعان ما عادت الكنيسة إلى سيرتها الأولى، فمنعت التّعدد ومنعت كذلك طلاق المرأة، لتأثرها باليهودية، . إلا أن موضوع منع الطلاق الذي كان متفشيا في الدّيانة اليهودية

واعتبرت الكنيسة الزّنا تعدّيا على المـــرأة بما هي إنسان والكنيسة عالجته بطريقة تعاكس ما سارت عليه اليهوديّة من خلال التّوراة ، فأوردت المسيحيّة مجالا للتوبة من خلال ما ورد في إنجيل يوحنا[5]. وملخص الواقعة أنّه جيء بامرأة قد زنت فوجهت إليها أسئلة حول الأسباب والظروف وموقفها في ذلك. ومن هم الذين اشتكوها فخاطبها يســـوع:" يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك ؟ أما دانك أحد، فقالت: لا أحد يا سيد، فقال يسوع: ولا أنا أدينك، اذهبي ولا تخطيء أيضا »[6].

وقد شرح هذه الحادثة بنـدلي بقولـــه : « فعندما قدمت امرأة زانيّة ليسوع، طلب منه أن يدينها، فلم يرفع المسيح عن المرأة مسؤوليّة خطيئتها، ولكنّه طرح المشكلة من زاويّة أخرى، لذا صمتت فترك للرجال الغيورين في الظاهر على الفضيلة والناموس، الذين تهافتوا على اتهام المرأة، فرصة مراجعة

[1]) رسالة بولس الرّسول الأولى إلى تيموثاوس5:14 (5 تيمو14).
[2]) رسالة بولس الرّسول الأولى إلى تيموثاوس5: 10.9 (1 تيمو5: 10.9).
[3]) رسالة بولس الرّسول الأولى إلى تيموثاوس7: 4.2 (1 تيمو7: 4.2).
[4]) انظر: التّزماني عبد السّلام: الزّواج عند العرب في الجاهليّة والإسلام (دراسة مقارنة) سلسلة عالم المعرفة الكويتيّة عدد 80 لسنة 1984.
[5]) انجيل يوحنا 8: 2-11.
[6]) انجيل يوحنا 8: 2-11.

أنفسهم، والتساؤل عما إذا كانوا لا يتسترون بحجة تشددهم في تطبيق الشّريعة، عند رؤيّة ما يحتمل في أنفسهم من شهوة خفيّة أثارتها فعلة المرأة»[1]، وبهذا الموقف العلاجي أمكن للمسيح أن يبصر المرأة بخطئها ويمكنها من فرصة التّوبة بعد النّدم، فاستجابت لتسامحه ولطفه.

أما فيما يتعلق بمهر المرأة المسيحية : فلم نعثر في الإنجيل على ما يفيد مهرا تسلمه الزّوجة إلى الزّوج أو العكس من الزّوج إلى الزّوجة، ونجد عند المسيحين الشّرقيين قد أوجبوا على المرأة مبلغا من المال تقدمه لعريسها لقاء زواجه بها ويسمى عند الشّاميين (الدوطة)، وهذه العادة منتشرة في سوريا ولكن تقدير المبلغ يختلف باختلاف الوسط الاجتماعي والمقدرة الماليّة لأسرة الزّوجة، على اعتبار أن المهر عندهم هو حق الزّوج على زوجته»[2].

ونجد أن المهر عند مسيحي مصر قد أخذ قواعده من الإسلام، ذلك أنّه في عام 2000 أرسل رئيس الكنيسة الأرتوذوكسيّة المصريّة بابا شنودة إلى مجلس النّواب المصري، يطالب تطبيق أحكام الشّريعة الإسلاميّة في ما يتعلّق بالأحوال الشّخصية، من نفقة ومهر وحضانة على مسيحي مصر، وذلك لأنّ المسيحيّة في أصلها لا تتضمن في ثناياها قواعد وأحكام تخص مسائل الأحوال الشّخصية، وكانت الكنيسة متمثلة في المجموعة الأرتوذوكسيّة كلها قد نبهت منذ 1955 في المادة 69 بأنه ليس المهر من أركان الزّواج فكما يجوز الزّواج بمهر يجوز أن لا يكون، وقد أجاب المجلس النّيابي المصري على ذلك بالموافقة.

إنّ الحديث عن الأحوال الشّخصيّة المتعلقة بالمرأة في الدّيانة المسيحيّة دفعتنا للحديث عن الزّواج ومقوماته وواجبات الزّوجين وليس العلاقة بينهما وما يترتب على ذلك من تنظيم الزّواج، ومنع التّعدد والطلاق والمهر وغيرها من المساواة وأساليب المعاشرة منعا للزنا والتفكك الأسري، حيث يمثل ذلك الجانب المادي، والعلائقي في الأحوال الشّخصية، وهو ما يظهر مواطنة المرأة في علاقتها بنفسها وبالمحيطين بها سواء كانوا أبناءا أو أباءا أوأزواجا أو رجال كنيسة، وكذلك علاقتها بالمجتمع ككل.

ولكن الذي يهمنا هو أن مواطنة المرأة في المسيحيّة تتجلى من خلال حقها في التّعليم والتعلم. فكيف نظرت الكنيسة لهذا الجانب الهام في حياة المرأة بصفة عامة والمجتمع بصفة خاصة.؟

تعليم المرأة في الدّيانة المسيحية : نظرت المسيحيّة إلى تعليم المرأة نظرة ظلم وتعسف على أن يتم تعليم المرأة في صمت وهدوء معللة ذلك بقدسيّة الكنيسة «لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع»[3]، وهذا ما تضمنته رسالة القديس بولس ومضامين العهد الجديد ، إلاّ أنّ المفسرين للإنجيل احتاروا في فهم المغزى من قصد بولس " بالصمت " فمنهم من رأى أن المقصود هو عدم رفع الصوت خاصة في الكنيسة ، وهناك من فسّر الصمت بالهدوء ، ولذلك فهي لا تعني في رأيهم الصمت فعليا، ورأى فريق ثالث أن الصمت المقصود به السّكوت المؤدي إلى التّأمـل والاعتبار وعـدم إحداث الضوضاء أو كل ما يشغل الذهن عن التّركيز[4].

وتحمل رسـالة بولس المشار إليها عنصرًا آخـر يتضمن منع المرأة في التّعلم حرصا على مكانة الرّجل [5] ، والواقــع أن هذا التّضارب سببه الخـوف من منافسة المرأة ، خاصة ، وهي جـادة في لعمل في كل الميادين

---

[1]) بندلي كوستي: المرأة في موقعها ومرتجاها (م.س)، ص38.
[2]) طه جمانة: المرأة العربيّة في منظور الدّين والواقع (م.س) ص66.
[3]) رسالة بولس إلى أهل ثيموثاوس 2: 11-14.
[4]) طه جمانة: المرأة العربيّة في منظور الدّين والواقع (م.س) ص71.
[5]) رسالة بولس إلى أهل ثيموثاوس 2: 11-14.

بما في ذلك العمل الدّيني على رأي الأغلبية ، ولعل هذه الفكرة هي التّي اعتمدت من بعضهم لأبعاد المرأة من الكنيسة

إلاّ أنّ بعض البطاركة الآخرين على غـــرار (أغناطيوس الرّابع)([1]) ، قد ردّ على وصيّة بولس في منع المرأة من التّعليم، ببيان الأسباب الخفيّة التّي لا ترجع إلى عامل الدّين المسيحي في أصله الذي دفعها إلى التّعليم ، وإنّما إلى الخوف على كيان الأسرة من قبل القديس بولس ، لأن تعلمها سيغيّر في التّرتيب الأسري خاصة إذا كان الرّجل لم يهتد إلى الإيمان بعد ؛ ولكن بتتبّع الأحداث التّاريخيّة وتسلسلها، نجد أن السّبب الذي دفع بولس إلى القول بهذا الرّأي، هو الازدواجية التّي عليها النّاس حين ظهور المسيحيّة والداخلين فيها، فمنهم من هو يهودي تخلى عن دينه أو اعتنق المسيحية ، ولكن القسم الأكبر كان وثنيا، لذلك كان خوف بولس من حدوث اضطرابات وتضارب ، ينعكس سلبا على تعليم المرأة والقيام على شؤونها، كما أن البصمة اليهوديّة في هذا الأمر واضحة، فبقدر ما كانت المسيحيّة مجددة، فإن الكثير من أجزائها ومواضيعها قد لقيت عنتا من رجال المسيحي لتأثرهم باليهوديّة التّي لم تعط المرأة أيّة قيمة ، تليق بها ككائن إنساني عاقل ومسؤول ؛ ولذلك كان ظهور التّطرف المسيحي إزاء بعض القضايا الخاصة بالمرأة وغيرها في مختلف المجالات.

وقد ذكرت الموسوعة البريطانيّة عند الحديث عن المرأة، أن مجيء المسيحيّة لم يحسّـــن أحوال المرأة على الرغم من إقرار الكنيسة أن المرأة روحا ، هي وروح الرّجل شيء سواء عند الله، ولكن جانب آخر من أتباع الكنيسة لم يبدلوا نظرتهم للمرأة ، باعتبارها مصدر إغراء للرجل وسبب خروج آدم من الجنة، وأن المرأة في المرتبة الثانيّة من ذريّة آدم" [(2)].

ونتيجة تلاعب الأهواء برجال الدّين المسيحي ، ظهرت عبر التّاريخ تيارات متناقضة إزاء الموضوع الواحد ، وخاصة المواضيع العاديّة العامة، فقد انحازت الكنيسة الكاثوليكيّة بدايّة من سنة 1642م إلى الرّجل ضد المرأة، ولكن المرأة المؤمنة قادت حملة ضد البابويّة : « قد يبدو مستغربا وغير لائق أن تعبّر نساء عن آرائهن في غرائض عامة ، لكن المسيح دفع كي يفتدينا، نفس الشّيء الذي دفعه من أجل الرّجال وهو يتطلب منا نفس الانصياع بنعمته.»[(3)].

[1] - **البطريرك إغناطيوس الرابع هزيم** (28 آب 1921 - 5 كانون الأول 2012)، رجل دين مسيحي سوري الجنسية، شغل منصب بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس خليفة بطرس وبولس لأنطاكية العظمى، منذ 2 تموز 1979 وحتى 5 كانون الثاني 2012 ، ولد في مدينة محردة في محافظة حماة، سوريا، وهو أحد مؤسسي حركة الشبيبة الأرثوذكسية في سوريا ولبنان في عام 1942، ورابطة الشبيبة الأرثوذكسية العالمية والمدرسة اللاهوتية.

نبذة
ولد من عائلة أرثوذكسية متدينة درس في سوريا وبعدها درس الأدب في لبنان وانضمّ إلى الخدمة في الأسقفية الأرثوذكسية المحلية، وفي البداية كان يخدم كمساعد للكاهن في القدّاس الإلهي ثم أصبح شماساً في عام 1945 سافر إلى باريس في فرنسا حيث درس وتخرّج هناك من معهد القديس سيرجيوس اللاهوتي. وبعد عودته إلى الوطن عمل على تأسيس معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي حيث خدم كعميد للمعهد وكان أحد مؤسسي حركة الشبيبة الأرثوذكسية في سوريا ولبنان في عام 1942 التي عن طريقها تم المساعدة لتنظيم وتجديد الحياة الكنسية في بطريركية إنطاكية.

في عام 1953 ساعد في تأسيس رابطة الشبيبة الأرثوذكسية العالمية والمدرسة اللاهوتية كان في سنة 1961 عضواً في مجمع الأساقفة المقدس، ثم تم انتخابه في سنة 1970 ميتروبوليت على محافظة اللاذقية في سوريا، وفي الثاني من تموز عام 1979 انتخب بطريركا على الروم الأرثوذكس لكرسي أنطاكيا ، توفّي إغناطيوس الرابع هزيم في مستشفى القديس جاورجيوس في 5 كانون الأول 2012 في بيروت، بعدما نقل إليها إثر تعرّضه لجلطة دماغية.

[2]) الموسوعة البريطانية، لقطة امرأة، ج10.

[3]) روبيتهام شيلا: الثورة وتحرر المرأة، ترجمة جورج طرابيشي بيروت، ط2، 1979، ص8.

إنّ هذه المواقف المختلفة في صلب الكنيسة، والمتعلقة بتعليم المرأة بين مؤيد ومعارض ، بدأ يشتدّ كلما انحط العالم حضاريا وفكريا وانقســـم فيه المتدنيون في المسيحيّة شيعا ومذاهب ، وهو ما مهّد لاحقا وفي عصور الانحطاط إلى سيطرة الكنيسة السّيطرة التّامة ، حيث لقي الانغلاق والتطرف التّربيّة الخصبة ، فتحول الصراع بين العلم والكنيسة ، وتواصل هذا الخلاف وهذه القطيعة التّي تحولت إلى عداء، فانطلقت محاكم التّفتيش ضد العلماء وتاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة حافل بالمظالم والاستبداد ، ولعل أشهر محاكمة معروفة هي محاكمة " جاكيلي" في قضيّة دوران الأرض

إنّ تاريخ الكنيسة حافلٌ بالمتضادات والمتناقضات، فبالرغم من معارضة بعضهم لفكرة المساواة بين المرأة والرجل ، ولكننا نجد أن هناك من سادت المجتمع الكنيسي على المستوى الدّيني، على غرار القدّيسة هيلانة (330/242م) والدة الامبراطور قسطنطيني، و القدّيسة مونيكا (322-387) والدة القديس أوغسطينوس، وهاتان السّيد ثان من أشد النّساء تأثيرا في التّاريخ الكنيسي، كما ظهرت في العصور الوسطى عدة قيادات نسائيّة مثل القدّيسة كلارا الاسيزي (1194-1253) إلى جانب السّياسيات والعسكريات مثل القدّيس جان دارك (1412-1431) وإليزابيت الأولى ملكة إنجلترا التّي ركزت المذهب البروتستانتي في البلاد، وغيرهن من القائدات والسياسيات والمصلحات

وخلاصة القول في ما يتعلّق المرأة داخل الكنيسة ، فإننا يمكن أن نؤكد أن الكنيسة في جوهر تعاليمها ، كانت نصيرة المرأة .

ولكن الأمر الذي يشـــوه هذه النّظرة المسيحيّة للمرأة هو تدخل المسؤولين في المجال الدّيني أو السّياسي أو الاجتماعي في هذا الأمر وتوجيهه حسب الهوى والرغبة، من أجل تحقيق مصلحة أو تعطيل فكرة، ولذلك كان التّاريخ الكنيسي في مجال المرأة يراوح بين الانتصار للمرأة أو التّضاد مع مصالحها وخصوصياتها، وخاصة ما يتعلق منها بالأحوال الشّخصيّة التّي اختلفت فيها حتى المدارس الكنيسة بين الشّرق والغرب، وأحيانا كثيرة ما يكون بين الجهة نفسها بين مبيح للأمر ومعارض له، ويستوى في هذا الأمر الدّين اليهودي والمسيحي.

الخاتمـــــــــة :

قائمة المصادر والمراجع

- History of christatianty syria : Catholic Encyclopédia, Octobre 2017.
- الكتاب المقدّس، العهد الجديد.
- بندلي كوستي: المرأة في موقعها ومرتجاها، طبع مجلس كنائس الشّرق الأوسط، (د.ت).
- بولس الثاني :البابا يوحنا (1920.2005) كرامة المرأة رسالة رسوليّة صادرة عن البابا سنة 1988 المركز الدّائم للتنشئة المسيحية.
- التّزماني عبد السّلام: الزّواج عند العرب في الجاهليّة والإسلام (دراسة مقارنة) سلسلة عالم المعرفة الكويتيّة عدد 80 لسنة 1984.
- تصريح البابا في جوان 1954 بمناسبة عيد المرأة.
- جمانة طه، المرأة العربيّة من منظور الدّين والواقع ، دراسة مقارنة ،منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق
- حبيب صموأييل(قس): المرأة في الكنيسة والمجتمع: دار الثقافة، القاهرة، ط1، (دت)
- الدّس ماري: مجلة النّهج عدد 41 خريف 1995 (الدبس جامعيّة لبنانيّة رئيسيّة جمعيّة مساواة وردة بطرس للعمل النّسائي وعضو الدّفاع عن حقوقها المرأة في القضاء على التّمييز ضدها).
- روبتهام شيلا: الثورة وتحرر المرأة، ترجمة جورج طرابيشي بيروت، ط2، 1979
- طه جمانة: المرأة العربيّة في متطور الدّين والواقع
- قبيسي بشرى: المرأة في التّاريخ والمجتمع، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1995 الأردن
- الموسوعة البريطانية، لقطة امرأة، ج10.
- نبدلي كوستي: المرأة في موقعها ومرتجاها
- ول ديورانت: قصة الحضارة